نحو فهم أعمق وأدق
للكيان الصهيوني

بقلم الرفيق جورج حبش
الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أربعون عاما على تأسيس الكيان الصهيوني

الحكيم يكتب عن اسرائيل كدولة اقليمية كبرى

والدروس / الأخطاء التي رافقت

مسيرة مجابهتها

اربعـون عاماً مرت وانقضت على قيام الكيان الصهيوني على ارض فلسطين. اربعـون عاماً. هي عمـر النكبة الفلسطينية والعربية. والشتات الفلسطيني هي عمـر الاقتلاع والتشرد والطمس والتبديد. والقتـل والمجازر الجماعية التي تعرض لها شعبنا على يد العصابات الصهيونية والقوى المتآمرة معها.

اربعون عاماً حافلة بالمقاومة والتصدي والكفاح الذي لايلين الذي خاضه شعب فلسطين وشـعوب امتنا العربية من اجل الحفاظ على شخصيته وهويته و في سبيل الظفر بحقوقه واسترداد وطنه المغتصب.

في عام ١٩٤٨، تحقق للعصابات الصهيونية ماتريد وتحولت افكار هيرتزل التي ضمنها كتابه «دولة اليهود» الى دولة لليهود فعلاً، على ارض فلسطين وامكن لهذه العصـابات المسلحة باقصى درجات الدعم الامبريالي عامة والبريطاني على وجه الخصـوص، ان تقيم دولتهـا «تحت مظلة الشرعيـة الدولية» التي جسدها قرار التقسيم رقم (١٨١) بل وامكن لهذه العصابات ان تذهب بعيداً في «ترجمة» هذا القرار بما اطاح بحدود الدولة الفلسطينية كما رسمها القرار المذكور.

وماهي الا اشهر قليلة، حتى اكتملت المؤامرة فصولاً بعقد «مؤتمر اريحا» واعلان النـظام الهاشمي ضم الجزء المتبقي من فلسطين الى «المملكة الاردنية الهاشمية» ولتغيب بعد ذلك ولسنوات طويلة كلمة فلسطين عن قاموس السياسية والجغرافية في محاولة شرسة لمحوها من الذاكرة الفلسطينية.

و إذا كان الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ يصلح باعتباره «تاريخاً رسمياً لقيام دولة العدو» الا ان التاريخ الفعلي لنشوء هذه الدولة ابعد من ذلك بكثير. فتاسيس هذا الكيان جاء امتداداً لمرحلة بناء شاملة استمرت ثلاثين عاماً من وعد بلفور ١٩١٧ وحتى قرار التقسيم حيث كانت الوكالة اليهودية تقوم بدور الدولة داخل الدولة وتمارس صلاحياتها هذه على اوسع نطاق سياسي واقتصادي وعسكري واجتماعي.

وهـذه المـرحلة ـ مرحلة التبني الرسمي المعلن للمشروع الصهيوني من قبل الامبـريالية البريطانية ـ هي امتداد لعشرين عاماً من الجهود التحضيرية التي اتخذت طابعها المنظم الشامل منذ مؤتمر «بال» في سويسرا عام ١٨٩٧ والذي جاء بدوره استكمالاً وتتويجاً لحركة حدل وحوار رافقت نشوء الصهيونية منذ اواسط القرن المنصرم.

ولعله هنا بالضبط يكمن سبب «المفاجأة الاسرائيلية» في الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ فالذين كانوا يرون في هذه الحرب «نزهة قصيرة» فلنوا انهم يواجهون «نفراً قليلاً من شذاذ الآفاق» ولم يكونوا على دراية كافية بتطور «القوة الاسرائيلية» في مختلف الميادين البشرية والاقتصادية والتسليحية والعسكرية والتي تفوقت بشكل ملحوظ على «القوة العربية» التي دخلت الحرب، ليس على المستوى النوعي ـ التسليحي، فحسب بل وعلى المستوى الكمي ـ البشري كذلك.

وقد ترافق ذلك مع تفاقم عجز وخيانة الرجعية العربية واستشراء مظاهر التخلف والتفكك في الأوضاع العربية، فكانت حرب ١٩٤٨ بين فريقين الأول الاسرائيلي الذي يعيش حاضره ويبني مستقبله على مختلف الصعد والمستويات والفريق الثاني العربي الخارج من رحم التركة العثمانية الثقيلة والذي احتجز تطوره الفعلي عند حدود العام ١٩١٨ بفعل السيطرة الامبريالية وتقاسم النفوذ وتقسيم المنطقة بين المراكز الامبريالية الاساسية آنذاك.

لهذا كله فقد شكلت هزيمة ١٩٤٨ تقاطعاً نموذجياً لاطماع الصهيونية مع التواطؤ الاستعماري مع عجز وخيانة الرجعية العربية وتاسيساً على ذلك كان من البديهي ان تتقاطع الدعوة لاسترداد فلسطين بالدعوة للتخلص من الانظمة العربية الرجعية الفاسدة بالدعوة للتحرر من الاستعمار.

وساهم الاختلال الذي كان قائماً في ميزان القوى على الساحة الدولية آنذاك في انجاح المسعى الامبريالي ـ الصهيوني في اقامة «اسرائيل» فالاتحاد السوفياتي الخارج من الحرب مثخناً بجراحه ومعه دول المنظومة الاشتراكية الفتية لم يكن في وضع يمكنه من احباط هذا المخطط ناهيك عن التقديرات والتصورات الخاطئة التي بنيت عليها العديد من المواقف حيال الكيان الصهيوني سواء تلك المتصلة بما يسمى «بحق تقرير المصير لليهود» او تلك المتعلقة بفرص واحتمالات «التطور الديمقراطي للدولة العبرية الفتية».

لقد ظن العديد من اوساط الراي العام العالمي ان «اسرائيل» دولة اليهود الضحايا الذين دفعوا اكثر من غيرهم ـ بالمعنى النسبي ثمن صعود الوحش النازي في اوروبا ستكون «الحمل الوديع» ـ واحة الديمقراطية ـ في المنطقة. وساهمت الآلة الاعلامية الغربية والصهيونية في نشر هذه الصورة والترويج لها. محققة نجاحات ملحوظة لم يستطع الراي العام العالمي ان يتخلص كلياً من براثنها حتى

بعد مرور اربعين عاماً على قيام الكيان الصهيوني رغم التبدل الجاد والملحوظ في صورة ومكانة «اسرائيل» على الساحة الدولية. حيث اخذت صورة «الذئب الكاسر» الذي يطلق الرصاص على الاطفال والنساء والشيوخ ويرتكب المجازر الجماعية تحل تدريجياً محل صورة «الحمل الوديع» المهدد دوماً «بالبربرية العربية» و«الارهاب الفلسطيني».

اليوم، تكون قد مضت اربعة عقود على تاسيس هذا الكيان، اكثر من نصفها كان في ظل وجود الثورة الفلسطينية المسلحة المعاصرة، خلال هذه الفترة وقعت ست حروب (١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢) فضلاً عن المناوشات والاعمال العسكرية المحدودة التي لم تنقطع طوال المدة، والنتيجة الاجمالية لهذه العقود الاربعة من الصراع كانت في المحصلة لصالح العدو.

لقد استطاعت الحركة الصهيونية خلال هذه السنوات ان تحقق جملة من الاهداف الاستراتيجية اهمها:

ا ـ الاعلان عن قيام الدولة على مساحة اوسع من حدود قرار التقسيم كنتيجة لحرب عام ١٩٤٨.

ب ـ توسيع حدود هذه الدولة على مساحة تزيد عن حدود فلسطين كلها وبضمنها جزء من سوريا ومصر. كنتيجة لحرب حزيران ١٩٦٧ وامتداد نفوذها العسكري المباشر الى الداخل اللبناني كنتيجة لحربي ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢.

جـ ـ ترسيخ البنية الداخلية للدولة على المستويات الاقتصادية ـ الاجتماعية وعلى المستوى العسكري وذلك في اطار خطة استراتيجية شاملة.

د ـ تزايد القبول بها عبر التقاء المصالح او بفعل الامر الواقع خصوصاً في السنوات العشر الاخيرة التي اعقبت التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد.

هـ ـ امتلاكها زمام المبادرة من خلال ميزان قوى مختل بشكل واضح لصالحها.

ان حصيلة ماتحقق لدولة العدو خلال السنوات الاربعين الماضية قد نقل «اسرائيل» من دائرة «الملجأ» او «الوطن القومي» الى مصاف «الدولة الاقليمية العظمى» التي تبرز اليوم بوصفها اكبر تهديد ليس لمستقبل الشعب الفلسطيني والشعوب العربية فحسب بل وتطال تهديداتها وحدود المجال الحيوي للقوة الاسرائيلية «النطاقين الاقليمي والدولي».

والبرنامج المرحلي وقرارات المجلس الوطني الاخير بشكل جيد، وانا لا اذكر في يوم من الايام ان المجلس الوطني الفلسطيني قد اتخذ قرارا بالاعتراف النهائي والتكريس النهائي بوجود اسرائيل.

هدفنا في المؤتمر الدولي ان نستخرج دولة وطنية فلسطينية ذات سيادة، ودولة ذات سيادة من حقها، ان تعترف اولا تعترف باية دولة اخرى، وفي الاساس فان برنامج الدولة الفلسطينية سمي بالبرنامج المرحلي لـ م.ت.ف فكيف يسمح اي انسان لنفسه ان يكتب مذكرة او مقالا يشير فيه الى التكريس النهائي للوجود الصهيوني على الارض الفلسطينية، ثم وفي حالة قيام الدولة الفلسطينية المستقلة فماذا عن حق العودة، البرنامج المرحلي يقول بحق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، فهل تخلينا عن هذا البرنامج ؟ الكل يجب ان يعرف ان دولة فلسطينية على الضفة والقطاع تحل مشكلة ثلث جماهيرنا الفلسطينية، انا من مدينة اللد ولا يمكن ان يتوقف قتالي وصراعي الا في حال عودتي الى مدينة اللد... طيب، ريغن يقاتل من اجل حق اليهود السوفيت في الهجرة الى اسرائيل، اليس من حقي انا ان اقاتل للعودة الى وطني، وما ينطبق علي ينطبق على ٦٠٪ من الجماهير الفلسطينية في سوريا ولبنان والاردن. هل من السليم اتباع تكتيكات من شانها تاجيج الخلافات الفلسطينية الفلسطينية ؟ هل يريدونني ان اخرض ٦٠٪ من الشعب الفلسطيني على ان هذا الموضوع لا يحل المشكلة وبالتالي لنقول لهم تعالوا لنخوض معركة ضد اصحاب هذا الخطر ؟

من هنا آمل ان تتضح لدى الذين دفعوا بهذه المذكرة الى ادراك خطورة الانفراد، ادراك خطورة خرق القرارات السياسية التي نتوصل اليها .

واخيرا نسأل انفسنا السؤال التالي: هل ستؤدي هذه «الشطارة التكتيكية» الى نتيجة ؟ وهل هذا هو الوقت لتقديم المزيد من التنازلات ؟ نحن الان في مرحلة لم يبدأ المؤتمر الدولي فيها بعد، ويريدوننا ان نشلح الجاكيت قبل المؤتمر الدولي، ولم يكتفوا بالجاكيت فهم يريدون البنطلون، ولم

يكتفوا بالبنطلون يريدون الثياب الداخلية، وفي المؤتمر الدولي يريدوننا عراة !!

انتهى

عن القبس الكويتية
العدد ١٠٥٦ تاريخ ٨٨/٧/٨